الفصل الثاني:

الوَحْيُ؛ تعريفُه، أنواعُه وكيفيّاتُه

الوَحْيُ هو الوسيلة التي أَنْزَلَ الله تعالى بها القرآنَ على رسوله محمدﷺ، وقد أخبر الله تعالى في القرآن الكريم عنه فقال: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: 1-4]، وقال: ﴿قُل مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [يونس: 10]، وقال: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّىٓ﴾ [الأعراف: 7]؛ ثم أنكر على العقلاء توهمهم أن في الوحي عَجَباً عُجاباً فقال: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾ [يونس: 2]. هل كان للمنطق أن يقضي بأن اشتراك الناس في البشريّة يمنع اختصاص الله واحداً منهم بما شاء من العلم والحكمة والإيمان؟ وهل كان للمنطق أن يعد هذا الاختصاص أعجوبة حتى تفكّه الناس باستغراب ما فيه من نكر، ورأى فيه أهل الكفر ما يشبه عمل السحر؟

لم يكن محمدﷺ بِدْعاً من المرسلين، ولا كان أولَ نبيٍّ خاطب الناسَ باسم الوحي، وحَدَّثهم بحديث السماء، فَمِنْ لَدُن نُوحٍ عليه السلام تَتَابَع أفراد مصطفون أخيار ينطقون عن الله ولا ينطقون عن الهوى، ولم يكنَ الوحي الذي أيّدهم به الله مخالفاً الوحي الذي أيد به محمداًﷺ، بل كانت ظاهرة الوحي متماثلة عند الجميع؛ لأن مصدرها واحد، وغايتها واحدة[1]، كما قال الله: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ۝١٦٣ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝١٦٤﴾ [النساء: 163-164]. وواضح أن الأنبياء

(1) تفسير الطبري 6/ 20.

الذين صرحت الآية بأسمائهم إنما خُصُّوا؛ لأنهم كانوا أشهر أنبياء بني إسرائيل، وكانت أخبارهم مشهورة بين أهل الكتاب المجاورين لرسول الله ﷺ في الحجاز وما حوله.

معنى الوَحْي لغة:

قال الإمام ابن فارس[1]: (الواو والحاء والياء والحرف المُعْتَلّ: أَصْلٌ يَدُلُّ على إلْقاءِ عِلْم في إخْفاءٍ إلى غَيْرِكَ، فَالوَحْيُ: الإِشَارَةُ، والوَحْيُ: الكِتَابُ والرِّسَالَةُ، وكُلُّ ما أَلْقَيْتَه إلى غَيْرِك حتى عَلِمَهُ فهو وَحْيٌ كيف كان).

ويختصّ معنى الوحي لُغةً إضافةً إلى ما قاله ابن فارس بتضمُّنه معنى السرعة، فالإشارة السريعة هي التي يقال لها: وَحْيٌ.

وورد الوحي في القرآن بمعنى الإلهام، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: 7].

أما في الاصطلاح الشرعي:

فالوحي هو إعلام الله تعالى لمَن اصطفاه من عباده بطريق خفية سريعة.

مراتب الوحي:

وإذا ابتغينا التفصيل لهذا الإجمال عن الوحي، وتساءلنا عن كيفياته وأحواله وآثاره فإن خير مرجع يحقق لنا تلك الأمنية هو صاحب الوحي نفسه، في نصوص القرآن الصريحة والأحاديث الصحيحة.

جاء في الحديث الصحيح: «أولُ ما بُدِئَ به رسولُ الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحةُ في النوم، فكان لا يَرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّبَ إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنّث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزَع إلى أهله ويتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حِراء فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارىء، قال: فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجَهْدَ ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطّني الثانية حتى بلغ مني الجَهْد ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطّني الثالثة فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢

(1) ابن فارس، **«معجم مقاييس اللغة»**.

﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق: 1-4]. فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده. فدخل على خديجة بنت خُوَيلد فقال: زمِّلوني زمِّلوني، فزمّلوه حتى ذهب عنه الرَّوْع. فقال لخديجة ـ وأخبرها الخبر-: لقد خشيتُ على نفسي. فقالت له: كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيفُ، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به وَرَقَةَ بن نوفل بن أسد بن عبد العُزّى، ابن عم خديجة، وكان امرءاً قد تنصَّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب في الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي. فقالت له خديجة: يا ابن عمِّ، اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى.

فقال له وَرَقة: هذا الناموس الذي نزّل الله على موسى، يا ليتني فيها جَذَعٌ، ليتني أكون حياً إذ يُخرِجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: «**أَوَ مُخْرِجِيَّ هم؟**» قال: نعم، لم يأتِ رجل قط بمثل ما جِئْتَ به إلا عُودي، وإن يُدركني يومُك أنصرْك نصراً مُؤزّراً. ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي».

قال ابن شهاب: وأخبرني أبو سلَمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: وهو يحدث عن فترة الوحي: فقال في حديثه: «بينما أنا أمشي سمعتُ صوتاً من السماء فرفعتُ بصري فإذا الملك الذي جاء في حراء جالسٌ على كرسي بين السماء والأرض، فَرُعِبْتُ منه فرجعتُ، فقلت: زَمِّلُوني زَمِّلوني، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ [المدثر: 1-2] إلى قوله: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: 5] فَحَمِيَ الوحيُ وتواتر»[1].

كيفيات الوحي:

وليست مراتب الوحي مقتصرة على هذين الحالين اللذين عرفناهما من الحديث: الرؤيا والأخذ من المَلَك، بل إن له مراتب وكيفيات عِدَّة ذكر القرآن الكريم أصولها في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: 51].

---

(1) أخرجه البخاري في أول صحيحه، ومسلم في الإيمان ج1، ص: 57. غَطّني: ضمني وعصرني بقوة. زمّلوني: لففوني بالثياب. الرَّوع: الفزع. الناموس: صاحب السرّ. جَذَع: شاب. لم يَنْشَبْ: لم يلبث.

وقد دلّت هذه الآية الجامعة على كيفيات الوحي وأنها ثلاث لا رابع لها، وسماها العلماء مراتب الوحي، وهي:

1 ـ أن يُلقي الله ما يريد إلقاءه إلى النبي مباشرة بطريق خفي سريع دون واسطة.

2 ـ أن يكلّم الله النبي، من وراء حجاب تكليماً.

3 ـ أن يُرْسِلَ الله المَلَك إلى النبي فيلقي إليه ما أمره الله تعالى به.

وقد بحث العلماء في هذه المراتب ـ ومرادهم كيفيات الوحي ـ واستقصوا أحوالها فيما ورد من وصف الوحي من الكتاب والسنّة، وأوصلوها إلى سبع مراتب ينقسم إليها الوحي ويقع بها، ومنهم مَن جعلها ثماني مراتب[1]، وترجع كلها إلى المراتب الأساسية التي ذكرتها الآية، وتندرج في ضمنها ولا تتجاوز حدها، كما يتضح من هذا البيان الذي يشرحها:

المرتبة الأولى: الرؤيا الصادقة، وذلك كما ورد في حديث عائشة: «أول ما بُدِيء به رسولُ اللهِ ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحةُ في النوم»، والوحي في هذه المرتبة إما أن يكون بإلقاء الله أو بواسطة المَلَكِ، فهو داخل في الآية لا يخرج عنها.

المرتبة الثانية: أن يأتيه المَلَك يَقَظَةً، فيلقي في رُوعه أي قلبه وباله من غير أن يسمعه ولا يراه، كما أخرج الشهاب والحاكم عن ابن مسعود أنه ﷺ قال: «**إن رُوْحَ القُدُسِ نَفَثَ في رُوعي: أن نفساً لن تموتَ حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب..**»[2].

المرتبة الثالثة: أن يَتَمَثَّل له المَلَك رجلاً فيخاطبه فيعي عنه ما يقول، كما في الحديث المشهور من سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة. وهو مُتّفق عليه[3].

---

(1) انظر في ذلك: «**الروض الأُنُف**» للسهيلي ج1، ص: 153 - 154. و«**زاد المعاد**» لابن القيم ج1، ص: 77 - 80 (ط. الرسالة)، و«**الإتقان**» للسيوطي ج1، ص: 44. و«**المواهب اللدنية**» للقسطلاني، و«**شرحه**» للزرقاني، ج1، ص: 55. وغيرها.

(2) «**مسند الشهاب**» بلفظه ج2، ص: 185، و«**المستدرك**» بنحوه ج2، ص: 4، وله شواهد كثيرة تقويه.

(3) عن أبي هريرة. وأخرجه مسلم عن عمر بن الخطاب: البخاري (سؤال جبريل...) ج1/ 15، ومسلم أول الإيمان.

المرتبة الرابعة: أن يأتيه الملك على حاله المَلَكِية ويوحي إليه، فيسمعه ولا يراه، وفي هذه المرتبة يأتيه الوحي مثل صلصلة الجرس، وكان ذلك أشدَّ الوحي عليه ﷺ.

المرتبة الخامسة: أن يأتيه الملك جبريل ويراه النبي ﷺ في صورته الملكية العظيمة التي خُلِقَ عليها ويسمعه، فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه. وهذا وقع له ﷺ مرتين[1]: إحداهما في الأرض عند وحي آيات المدثر، والثانية: في السماء ليلة المعراج عند سِدْرَةِ المنتهى، كما في سورة النجم: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: 13-18].

وهذه المراتب الأربعة التي بعد الأولى كلها صور لمرتبة واحدة لا تخرج عنها، ذكرها القرآن في قوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: 51].

المرتبة السادسة: كلام الله تعالى للنبي من وراء حجاب، كما وقع للنبي ﷺ ليلة المعراج بعد أن استقرت فريضة الصلوات على الخمس فنودي: «أحكَمْتُ فريضتي وخَففْتُ على عبادي»، وكما وقع لموسى عليه السلام: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 164].

المرتبة السابعة: كلامُ الله تعالى للنبي وحياً بلا واسطة مَلَكٍ ولا حِجاب، كما أوحاه إلى النبي ﷺ ليلة المعراج وهو فوق السمٰوات من فرض الصلوات ومضاعفة الحسنات الحسنة بعشر أمثالها، وغير ذلك، وهي مرتبة داخلة في قوله: ﴿أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: 51] أي إعلاماً خفياً.

لكن بعضهم استشكل ما وردت به الأحاديث في هذه المرتبة وقال به أكثر العلماء أنه ﷺ رأى ربه عز وجل ليلة المعراج كيف يتفق مع قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: 51] وليس هٰهنا حجاب؟

إلا أن هذا الإشكال في الحقيقة غير وارد هنا إذا ما علمنا أن الوحي الإلٰهي في هذه المرتبة لا يشبه خطاب الخلق، بل هو داخل في قوله إلا وحياً، لأن الوحي إعلام

(1) كما في مسلم في كتاب الإيمان ج1، ص: 109.

في خفاء، وقد أبان الإمام المفسر البيضاوي عن ذلك في تفسيره لهذه الآية وهو يفسر ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾: «كلاماً خفياً يُدرك بسرعة، لأنه تمثيل، ليس في ذاته مركباً من حروف مقطعة يتوقف على تموُّجات متعاقبة»، فأزاح بذلك شبهة خروج هذه المرتبة عن حد الآية الكريمة.

مظاهر الوحي:

والوحي في أي مرتبة من مراتبه أمر عظيم يقتضي من الإنسان أن يتجاوز حدود المادة وعالم الشهادة ليتصل بالملائكة وعالم الغيب، وذلك يقتضي من صاحبه استعداداً يهيئه الله تعالى في أولئك الأخيار الذين اصطفاهم من خلقه لهذه المنزلة، وكثيراً ما كان يَحْدُثُ للنبي ﷺ مشقة شديدة في التلقي من الملك. قالت عائشة رضي الله عنها: إن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشدّه عليَّ، فيفصمُ عني وقد وعيتُ عنه ما قال، وأحياناً يَتَمَثَّلُ ليَ المَلَكُ رَجُلاً فَيُكَلِّمُني فأعي ما يقول**». قالت عائشة رضي الله عنها: «ولقد رأيتُه ينزلُ عليه الوَحْيُ في اليومِ الشديد البرد فَيَفصِمُ عنه وإنَّ جبينَه لَيَتَفَصَّد عَرَقاً»[1].

ومن آثار الوحي ومظاهره على النبي ﷺ ما وردت به هذه الأحاديث:

1 ـ ما ذكر في حديث السيدة عائشة الذي رويناه سابقاً.

وأخرج البخاري أول «صحيحه» ومسلم[2] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: 16]، قال: كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة وكان مِمّا يحرك شفتيه، فقال ابن عباس: فأنا أحركهما لك كما كان رسول الله ﷺ يحركهما، وقال سعيد أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما، فحرك شفتيه، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [القيامة: 16-17]، قال ﴿جَمْعَهُۥ﴾ لك في صدرك وتَقرأه، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾، قال: فاستمع له وأنصت ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾، ثم إن علينا أن تقرأه.

---

(1) متفق عليه: البخاري في مطلع صحيحه، ص: 2 – 3، ومسلم في الفضائل (باب عرق النبي ﷺ . . .) ج7، ص: 82.

(2) البخاري ج1، ص: 4. ومسلم أول الصلاة ج2، ص: 35.

فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما كان قرأ».

2 ـ أنه ﷺ كان إذا نزل عليه الوحي سُمِعَ عند وجهه دويٌّ كدويِّ النحل، عن عبد الرحمن بن عَبْدٍ القارِيِّ قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي يُسْمَعُ عند وجهه دويّ كدويّ النحل، فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال: «**اللهم زدنا ولا تَنْقُصْنا، وأكرمنا ولا تُهِنّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارضَ عنا وأرضنا**، ثم قال: **لقد أُنْزِلَتْ عليّ عشرُ آيات مَن أقامهن دخل الجنة**»، ثم قرأ علينا: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾... حتى ختم العشر»[1]، أخرجه أحمد والترمذي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

3 ـ أنه ﷺ كان إذا نزل عليه الوحي ثَقُلَ جسمه حتى يكاد يرضُّ فَخِذُه فَخِذَ الجالسِ إلى جنبه.

عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ أملى عليه:

﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فجاءه ابن أمِّ مكتوم وهو يُمِلُّها عليّ قال: يا رسول الله، والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت ـ وكان أعمى ـ فأنزل الله على رسوله ﷺ وفَخِذُه على فخذي، فثقلت عليّ حتى خفتُ أن ترضَّ فخذي، ثم سُرِّيَ عنه فأنزل الله: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: 95]، أخرجه البخاري بلفظه وأحمد وأبو داود وغيرهم[2].

4 ـ أنه ﷺ إذا نزل عليه الوحي بركت به راحلته.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن كان يوحى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته فتضرب بجرانها» أخرجه أحمد[3].

---

(1) وهي: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾[المؤمنون: 1-11]
انظر: الحديث في المسند رقم 223، والترمذي ج2، ص: 316 - 317، والمستدرك ج1، ص: 535.

(2) البخاري: ج6/ 47، وأبو داود ج3/ 11، و«**المسند**» ج5/ 184.

(3) ج6، ص: 118.

وعن عروة بن الزبير: أن النبي ﷺ «كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته وضعَتْ جِرانها فما تستطيع أن تحرَّكَ حتى يُسَرّى عنه». أخرجه ابن جرير، وهو مرسل، والجران باطن عنق الناقة.

وقد حضّ النبي ﷺ المسلمَ على أن يجعل ليوم الوحي اهتماماً وتوجهاً خاصاً إلى الله، بمجاهدة النفس والتصفية لها بصيام مستحب، تكميلاً ومتابعة لمجاهدتها بالصيام المفروض في شهر رمضان حتى تصفو النفوس من أكدارها وتُخْلِصُ القلوب وجهتها نحو بارئها سبحانه، وتُقْبِلَ عليه بقوة وعزم، وعلى العالَم بالمكارم والإصلاح ودعوة الخير الذي نزل به الوحي في ذلك اليوم، أخرج مسلم[1] عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم الاثنين فقال: «**فيه ولدت، وفيه أنزل عليّ**»[2].

الرد على منكري الوحي:

وقد أثار أعداء الأنبياء والكافرون ببعثة الرسل الشبهات حول ثبوت الوحي من الله تعالى لهؤلاء الخِيرَة المصطفين من عباده، وتَعلّلوا في إنكارهم بتعللات مختلفة، بدأها أوائلهم في العصور السالفة الغابرة وجددها أواخرهم في العصور الخالفة الحاضرة.

ويتلخص أهم ما قالوه في دعويين سبق إليهما الكفرة المشركون من قبل، حين زعموا أن النبي ﷺ مجنون، أو أنه مصاب بمرض عصبي، وزعموا أنه يأتيه رئيّ من الجن يلقي إليه هذا القرآن، ولمّا كان منكرو النبوة في هذا العصر ينكرون الجن فقد صاغوا شبهتهم باسم «الوحي النفسي».

---

(1) في «**صحيحه**» كتاب الصيام ج3، ص: 168.

(2) وبهذه الدراسة يتبين لنا بجلاء الفرق بين الوحي والإلهام أو الكشف، وذلك من وجوه كثيرة نذكر منها:
1 - إن الوحي أَخْذٌ وتَلَقٍ من ذات خارجية علوية آمرة قاهرة، تتلقاه شخصية النبي مذعنة ضعيفة مأمورة. أما الإلهام والكشف فيدخل فيهما عنصر الحدس والتخمين وعمل الذهن غير الشعوري.
2 - إن الوحي يوقع في القلب علماً يقينياً اضطرارياً لا يقبل التغيير ولا التبديل، أما الكشف أو الإلهام فهو أمر يقع في النفس فتعرفه معرفة دون اليقين، وقد تتحمس له كاليقين، لكن كثيراً ما يظهر الخطأ فيه.
3 - إنه يجب الأخذ بالوحي قطعاً، لكن لا يجوز الأخذ بالإلهام أو الكشف وإن تكرر صدقه إلا بعد عرضه على دلائل الشرع، لأن الوحي معصوم، أما الإلهام وكذا الكشف ونحو ذلك فليس شيء منها بمعصوم، فلا بد من مراجعة ذلك.

ولا شك أن دعوى المرض العصبي كذب واضح يدل على الجهل الفاضح بشخص محمد ﷺ وبالقرآن الكريم، بل يدين قائله بأنه بلغ به العناد والتجني على الحقيقة مبلغاً فقد به توازنه العقلي، فالتاريخ يشهد بأدلته القاطعة للنبي ﷺ أنه كان أعظم الناس خلقاً، وأوسعهم أفقاً، وأشجعهم قلباً، وأسخاهم يداً، لا تصمد أمامه معضلة، ولا يتعقد أمامه موقف إلا واجهه بأحسن الحلول وأعلاها وأفضلها، وأنه كان أفصح الناس لساناً وأعذبهم بياناً، مما يشهد بأنه ﷺ أكمل العالم عقلاً وتفكيراً وأنه أمة وحده في علوّ أخلاقه وثباته وحلمه، وكمال عقله ورباطة جأشه، ولهذا ردّ القرآن على هؤلاء بأنهم هم الذين فقدوا رشدهم: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦﴾ [القلم: 5-6].

وأما دعوى (الوحي النفسي) فقد وجدت لدى المنكرين ومثيري الشبهات مرتعاً خصيباً ولا سيما اليهود من المستشرقين[1] لما فيها من التلبيس الخبيث والمكر في الدس والافتراء الذي يضفي على هذه الفرية مسحة كاذبة من دعوة البحث العلمي العصري.

وإن الثابت المقرر من مظاهر الوحي وآثاره ليثبت بطلان هذه الدعوى وكذبها، من وجوه كثيرة جداً، نذكر منها:

1 ـ إعجاز القرآن، فإن نفس محمد ﷺ مهما صفت فإنها ستظل كسائر المتعبدين والعباقرة يأتون بالشيء العظيم لكن لا يعجز أمثالهم أن يلحقوا بهم أو يسبقوهم ويتفوقوا عليهم، وهذا القرآن الذي أوحي به إلى محمد بن عبد الله ﷺ معجز تحدى الجن والإنس، والأولين والآخرين، فأنّى يمكن أن يكون هذا الكتاب إلا من عند الله.

2 ـ إن حادث الوحي يثبت بما لا يدع مجالاً للشك أنه آتٍ من ذات مستقلة خارجة عن ذات النبي ﷺ، وذلك واضح في حديث بدء الوحي في غار حراء، حيث إن الملك جاء إلى النبي ﷺ فجأة كما في الحديث الصحيح المتفق عليه: «**فجاءه الملك فقال اقرأ، قلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد، ثم**

(1) مثل جولد زيهر.

أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارىء..».

فهذا الحادث يوضح أن هناك ذاتاً خارجة عن ذات محمد وشخصه تملي عليه وتأخذه وتغطّه أي تضمّه وتعصره عصراً شديداً، وتقول له: اقرأ، فهي ذات متكلمة، وهي ذات آمرة ومؤثرة في بدنه بالضغط الشديد عليه، حتى يقول النبي ﷺ: «**لقد خشيت على نفسي**». وذلك يثبت بطلان زعم الوحي النفسي ويفنّده تفنيداً.

3 ـ إن الوحي كان ينزل على النبي ﷺ غير مرتبط بإرادته أو رغبته، ولا بتفكيره أو بحثه لدى وقوع المهمات، فربما كان في بيته يأخذ شيئاً من الراحة فينهض والبِشْرُ على مُحَيّاه وقد نزلت سورة، كما ثبت الخبر في نزول سورة الكوثر. أخرج ذلك مسلم في صحيحه[1]. ومن القرآن ما تنزل في هزيع أخير من الليل، كآية التوبة على الثلاثة الذين خُلِفوا[2]. وآية: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: 67] وكان النبي ﷺ في خيمته والحرس حوله، فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من الخيمة فقال: «**يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله تعالى**»[3]. ولهذا كثرت أقسام القرآن بحسب أوقات نزوله، فمنه السفري والحضري، ومنه الليلي والنهاري، ومنه ما نزل مشيّعاً، وغير ذلك، مما فصلته مصادر علوم القرآن.

4 ـ «إن عبقرية الإنسان تحمل بالضرورة طابع الأرض حيث يخضع كل شيء لقانون الزمان والمكان، ويتقيّد بحدودهما وآفاقهما، بينما يتخطى القرآن دائماً نطاق هذه الحدود، ليدلّ من خلال رحابة موضوعاته على أن دور محمد ﷺ فيه إنما هو الأخذ والتلقي والوعي، ثم الإبلاغ للعالم.

بل إن جميع معارف الإنسان في عصر نزول القرآن ومعارف عصور لاحقة لا تمثل شيئاً من شمول المعارف القرآنية وتنوّعها وعمقها، فضلاً عمّا في معارف القرآن من تصحيح تلك المعارف وتقويم عوجها من جذورها، حتى ما كان منها متعلقاً بما هو سابق لعصر نزول القرآن، فليت شعري إن لم يكن هذا وحياً ممّن يعلم السر في السمٰوات والأرض فأي شيء يكون»[4].

---

(1) أول الصلاة ج2، ص: 12 – 13.

(2) البخاري تفسير سورة التوبة ج6، ص: 70، ومسلم في التوبة ج8، ص: 105.

(3) الترمذي في التفسير ج5/ 251، وصحّحه الحاكم: 2/ 213، وابن أبي حاتم. ابن كثير ج3/ 144.

(4) باختصار وتصرُّف عن كتاب «**الظاهرة القرآنية**» تأليف مالك بن نبي رحمه الله.